أمراض الزمان
وعلاجها فى القرآن

تأليف

أبى حفص
د . عمر بن عبد العزيز
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الإسلامية
جامعة الأزهر الشريف

الطبعة الثانية
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

دار بهجت للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾.

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ

وشر الأمور محدثاتها ، فكل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

اخوة الإسلام : هذا الإصدار الجديد من مؤلفاتي إنما هو لبنة على طريق البناء لأبناء الصحوة الإسلامية الراشدة ، وهو لون جديد من ألوان التربية والتهذيب ،وصلاح القلوب ، وشفاء الأمراض وعلاج العلل .

فى وقت عظمت فيه الأدواء ، وكثرت فيه العلات ، وانتشرت الأوبئة والأمراض ، وإن كنت لا أعنى بها الأمراض الحسية أو العضوية - وإن كانت هذه جزءا منها - وإنما أردت الأمراض بصنوفها ، والأدواء بأنواعها ، والعلات بأشكالها الجسمية أو النفسية أو القلبية ، أو الروحية ، أو الاجتماعية أو السياسية. أو الاقتصادية أو المحلية أو العالمية ، أو نحو ذلك .

فى الوقت الذي ذهب الناس يبحثون عن علاج علاتهم فى الشرق أو الغرب ، أو فى عالم الأرض فازدادوا شقاءً وضنكا وتعبا واعياءًا .

وضلوا عن الدواء ، وابتعدوا عن الشفاء ، وهو قريب منهم، فى متناول أيديهم ، لا يخلو منه بيت مسلم ، ولا

مكتبة طالب علم ، ألا وهو كتاب الله تعالى ، الشفاء التام ، والدواء العام ، والهداية الكاملة ، والرحمة الشاملة ﴿**وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا**﴾[1] نعم : القرآن هو الدواء لما نعانيه من أدواء ، وهو الشفاء لما نحن فيه من أمراض ، وهو العلاج لكل علة من العلات .

ولكن القرآن موجود ، والعلات وفيرة ، والأمراض خطيرة، والأدواء كثيرة !! فلماذا لا نجد الدواء فى القرآن ، أو نأخذ سبيلنا إلى الشفاء ؟!!

والإجابة على هذا السؤال واضحة : لأننا واحد من اثنين :

الأول : هجر الدواء مع قربه منه ووجوده فى خزانته ، لكنه خشي مرارته ولم ينظر إلى عاقبته ، فترك الدواء وهو قريب ، فهذا صنف من الناس وهو كثير ، يصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿**وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾[2]

---

(١) سورة الإسراء : ٨٢

(٢) سورة يس : ٧٠

وقول القائل :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ
والماء فوق ظهورها محمول

والثاني : تعامل مع الدواء لكنه لم يحسن استخدامه ، كمن وصف له الدواء على مرات وفترات ، وبعدد معين ، وبطريقة مخصوصة ، فتعجل الشفاء بتناول كل الدواء فلما تناوله مات، لأنه لم يحسن التعامل مع الدواء .

وهذا صنف آخر موجود في الأمة لم يحسن التعامل مع كتاب الله فلم يصب الشفاء.

أرأيت إلى أمة إذا أرادت أن تتعامل مع كتاب ربها جعلته للأموات بدلاً من الأحياء مع أن الله عز وجل يقول ﴿لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين﴾[1]

فترى كتاب الله يقرأ على القبور وللأموات ، أو في مقدمة الحفلات ، أو يرتزق به المرتزقة على نواصي الشوارع ورؤوس الطرقات ، أو يباع سورة سورة على أبواب المساجد وفي طرق

---

(١) سورة الفرقان : ٣٠

المواصلات ، أو يوضع فى مقدمة أو مؤخرة السيارة ، ليقيها الحوادث ، أو يوضع على صدور المتبرجات ، ليقيهن الحسد ، أو يلف فى علب من القطيفة يهدى للأمراء والعلماء ، أو يعلق على الجدران للزينة ، أو يكتب فى صفحة واحدة بخط صغير فيوضع فى البيوت للبركة ، أو يوضع فى زواية مظلمة من البيت يتراكم عليه التراب بعد أن فتح المسلمون الأوائل به مشارق الأرض ومغاربها .

ألهذا نزل القرآن ؟ أبمثل هذا نجد شفاءنا فى القرآن ؟ كلا ، قسما بالرحمن .

كيف نتعامل مع القرآن ؟

يا قوم : يجب أن نقبل على الدواء ، وأن نحسن التعامل معه أيضًا ، وإلا فما قيمة دواء تركناه أو ضيعناه ، أو دواء لم نحسن استخدامه أو تناوله وهذا فى كل دواء : وعلى رأس ذلك « كتاب الله تعالى » . الذي يجب أن نحسن التعامل معه ، بالوقوف على أرض صلبة .

وذلك بتلاوة القرآن ، كما أمر ربنا الرحمن ، نبيه العدنان، ومن تبعه بإحسان ، فقال الواحد الديان ﴿إنما أمرت أن أعبد

رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين﴾[1]

ثم ترتيل القرآن على النحو الذي فرض ربنا الرحمن ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾[2]

ومع التلاوة والترتيل فلا بد من التدبر ، حتى لا نقرأ القرآن كالببغاء ، قال تعالى فى موضعين من القرآن ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾[3] الأولى فى النساء ، والأخرى فى سورة محمد .

ولئن كانت هذه الثلاثة بمثابة العلم بالقرآن ، فإن العلم يحتاج إلى عمل ، والعلم إمام ، والعمل تابعه ، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل .

لذلك كان لابد من العمل بكتاب الله ، العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه ، القرآن كتاب هداية وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده ، قال تعالى : ﴿فمن

---

(١) سورة النمل : ٩١ ، ٩٢ .

(٢) سورة المزمل : ٢

(٣) سورة النساء : ٨٢ ومحمد : ٢٤

اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يومة القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾[1] ثم هو دستور حكم ومنهاج حياة ، لذلك وجب الحكم به ، لأنه حكم الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾[2] وكذا قال : ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾[3] لا أحد أحسن حكما من الله تعالى ، ومن ثم وجب الاحتكام إليه كذلك كما قال تعالى : ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾[4] وما جاء مجملا فى القرآن فصلته السنة ، وما كان مشكلا وضحته كذلك . لذا قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[5] فهذه ستة أمور فى

(١) سورة طه : ١٢٣ ، ١٢٧ .

(٢) سورة المائدة : ٤٩ .

(٣) سورة المائدة : ٥٠ .

(٤) سورة الشورى : ١٠ .

(٥) سورة النساء : ٥٩ .

حسن التعامل مع كتاب الله : تلاوة وترتيل وتدبر ، وعمل وحكم واحتكام ، يلخصها العلم والعمل بما اشتملا عليه .

فوالله إن أحسنا التعامل مع كتاب الله على نحو ما لخصت لك لوجدنا فيه الشفاء والدواء ، ولم لا ؟ والله عز وجل يقول: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾(١)

لا ، ليس شفاء لما فى الصدور فحسب ، بل هو الشفاء التام العام ، كما قال الملك العلام ﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾(٢)

وجاءت كلمة «**الشفاء**» فى السياق نكرة لتفيد التعميم . كما هو معلوم عند أهل اللغة ، ولكن لمن هذا الشفاء ؟ هنا قال «**للذين آمنوا**» وفى الآية الأخرى ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾(٣) أسمعت : للمؤمنين بما تحمله هذه الكلمة من معنى الإيمان وحقيقته ودلالته وصفاته . ومالم تتحقق هذه الصفة ، فلا دواء ولا شفاء ، بل هو الخسار والعماء كما قال

---

(١) سورة يونس : ٥٧ .

(٢) سورة فصلت : ٤٤ .

فـاطر الأرض والسـمـاء . ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خـســارا﴾ وكذلك ﴿والذين لا يؤمنون فى آذانهـم وقر وهو عليـهم عـمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ .

فى تتمة الآيتين السابقتين ، آية الإسراء ، وآية فصلت .

فإذا لم نجد شفاءنا فى القرآن فاعلم أننا أحد الصنفين ، إما من الظالمين ، وإمـا من الذين لا يؤمنون ، عيـاذا بك اللهم ، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العظيم . وإذا عدنا نحسن التـعامل مع كتـاب ربنا فلا شك أننا سنجـد فيه شـفاءنا ودواءنا ، ومع حسن الـتعامل مـع الدواء فقليل منه يكفى ، ولو كـان آية من كتـاب الله أو سورة قصـيرة ، ألا ترى أن النبي ﷺ كـان يقرأ الآية أو صدر الســورة على القوم فيـشفيـهم الله من داء الكفر والشرك ، إلى دواء الإيمان وشفاء القرآن .

ألا ترى أن النبي ﷺ قرأ على الرجل ســورة الزلزلة ، فلما سمع الرجل ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾[1] قال الرجل حـسبك يا رسول الله فـقال النبي

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

ﷺ: لقد فقه الرجل ، أو قال: أفلح الرويجل ، أفلح الرويجل»[1] وهذا أحد الصحابة يرقى لديغا بسورة الفاتحة ، فشفاه الله ، وقال له النبي ﷺ : «وما يدريك أنها رقية»[2] .

ورحم الله « الشافعي » الذي قرأ سورة العصر ففقهها فقال: والله لولم ينزل من القرآن إلا سورة العصر لوسعت الناس ، أو لكفتهم »

الله أكبر : إنه الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى ، أن آية واحدة يكون فيها الشفاء والدواء ، بإذن رب الأرض والسماء .

وتعالوا بنا ننقب عن كنوز القرآن ، ونتعرف على صيدلية القرآن ، ونستخرج منها أدوية لأدوائنا ، وعلاجا لعلاتنا ، يشفى بها سقيمنا ، بإذن ربنا ، وفى القرآن دواء لمرض الفرد ، وأمراض الأسرة ، والمجتمعات ، وفيه دواء للأمراض الاقتصادية ، والاجتماعية والسياسية وغيرها ، وإليك نماذج منها.

---

(١) رواه ابن كثير ووضع فيه اختصار ص٤ ص٥٣٨ .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

نماذج من أدوية القرآن

علاج الفرد المسلم :

يمكن أن يبتلي الإنسان بأشنع الأمراض الخبيثة ، دون أن يشعر بذلك ، أو قد يشعر بها عن طريق السآمة والقلق وضيق الصدر ، وعدم السعادة .

ومن ذلك مرض الكفر أو الشرك ، وعلاجها بالإيمان بالله، واخلاص التوحيد له عز وجل، أو مرض المعصية والبعد عن الله، وعلاج ذلك فى طاعة الله ، وتقواه ، جل وعلا ، أو مرض الجفوة ، وارتكاب الرزيلة ، وعلاج هذا فى أخلاق الإسلام وفضائله .

وقد ذكر القرآن الكريم دواء هذه الأمراض ، وعلاج هذه العلل فى كثير من المواطن ، نقتبس منها أمثلة ، نجدها موجزة فى آية واحدة ، أو آيتين أو ثلاث آيات أو بضع آيات .

* ففي آية واحدة يقول الله تعالى فى سورة البقرة - فى آية البر الجامعة : **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى**

والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[1] فنجد أن هذه الآية الجامعة اشتملت على مقدمة ومضمون وخاتمة أو نتيجة . أما المقدمة فقد أشارت إلى أن حقيقة هذا الدين لا تقف عند المظاهر أو الأشكال أو الهيئات ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ ولكن هذا الدين له حقيقة أعظم من هذا ، ألا وهي الجوهر بخلاف المظهر - الذي يتمثل فى عقيدة خالصة ، وعبادة صحيحة ، ومعاملة حسنة ، وأخلاق طيبة .

أشارت الآية إلى العقيدة الخالصة بقوله تعالى : ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ وأشارت إلى العبادة الصحيحة بقوله سبحانه ﴿وآتى المال على حبه﴾ إلى قوله ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ ورمزت إلى المعاملة الحسنة بقوله جل وعلا ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ وإلى الأخلاق الطيبة بقوله عز وجل ﴿والصابرين فى البأساء والضراء وحين

---

(١) سورة البقرة ١٧٧

البأس﴾ ثم جاءت الخاتمة مشتملة على النتيجة والثمرة **﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾** فهذه آية قد اشتملت على وسائل الصلاح لكل فرد أراد الإستقامة والسعادة والحصول على النجاح والفلاح، وما أسعد الإنسان حين يعيش فى ظلال هذا الشفاء الرباني ، والدواء القرآنى .

* ومثاله فى آيتين ، اقرأ قول الله تعالى فى سورة التوبة ، وهو يحدد لك سبيل الفلاح خطوة خطوة ، **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم* التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾**[1] .

فقد اشتملت هاتان الآيتان الكريمتان على عشر خصال لصلاح النفس .

---

(١) سورة التوبة : ١١١ ، ١١٢ .

أشارت الآية الأولى منهما إلى « الجهاد فى سبيل الله » والآية الثانية إلى سرد بقية الخصال : «التوبة ، والعبادة ، والحمد لله ، والهجرة فى سبيل الله، والركوع لله،والسجود لله - وهما أهم ما فى الصلاة ، ثم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحفظ لحدود الله تعالى» .

فإذا فعل المرء المسلم ذلك فله البشرى فى الدنيا والآخرة .

* ومثاله فى ثلاث آيات ، قول رب الأرض والسموات :

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

إنها الوصايا العشر الكرام التي ذكرت فى سورة الأنعام فى كتاب الله تعالى الخاتم كما ذكرت فى الكتب السابقة أيضا ، وقد بينت سبيل الله المستقيم ، وحددت عناصر منهاجه القويم، وطريق الفوز العظيم ، وفيها الدواء لما يعانيه كل انسان من أدواء ، وفى أوامرها ونواهيها يكمن الشفاء ، الذي بينه رب الأرض والسماء ، إنها صلاح العقيدة ، وصحة العبادة ، وحسن المعاملة ، وكرم الأخلاق ، فضلا عما فيها - بعد صلاح الفرد - من وسائل صلاح الأسرة والمجتمع .

ولنا عودة - إن شاء الله تعالى - مع هذه الآيات الكريمات .

* وأما ما ذكره الله تعالى من وسائل اصلاح الفرد وعلاجه من أمراضه التي يعاني منها فى بضع آيات من كتاب الله تعالى، فهو ما ذكره سبحانه وتعالى من صفات المؤمنين فى أول سورة المؤمنون ، فقال جل وعلا : ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم

وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾[1] فهذه الآيات الكريمات ، اشتملت على ألوان من إصلاح النفوس ، وعلاج الأمراض المنتشرة ، ولقد اتخذ ﷺ من هذه الآيات منهاجًا له فى الحياة ، وبين أن من أقامها وعمل بما فيها فله أفضل الدرجات ، وأعلى الجنات ، وقد اشتملت هذه الآيات على ست صفات هي : «الخشوع فى الصلاة ، والإعراض عن اللغو، وإيتاء الزكاة ، وحفظ الفروج إلا على الزوجة أو ملك اليمين التي أحلها الله تعالى ، وأداء الأمانات وحفظ العهود ، والمحافظة على الصلوات» ، ومع يسر المهمة ، فما أعظم الجزاء، إنها الجنة ، وليست بجنة واحدة ، ولكنها جنات ، وقد أصاب أصحاب هذه الصفات الفردوس الأعلى من الجنات .

ورضي الله عن «عائشة» سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت «كان خلقه القرآن» ثم قرأت ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ إلى أن بلغت ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ قالت : هكذا كان

(١) سورة المؤمنون : ١ ــ ١١

خلق النبي ﷺ[1] .

فما أجملها من أخلاق ، أثنى عليها الخلاق فقال : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2] .

وقد أمرنا بالتأسى بأخلاقه ﷺ ، والتحلي بصفاته صلوات ربي وسلامه عليه .

هذا وما أجمل بالمرء المسلم أن يتجمل بصفات عباد الرحمن التي جاءت فى سورة الفرقان ، فقال تعالى : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات

(١) رواه الإمام النسائي .

(٢) سورة القلم : ٤ .

وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما﴾[1]

فعباد الرحمن كما وصفهم الله تعالى فى آخر سورة الفرقان، قوم أهل تواضع فهم ﴿يمشون على الأرض هونا﴾ وأهل عفو ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ وإذا كان هذا حالهم فى النهار، فهم بالليل ﴿يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ مع الضراعة والدعاء ﴿يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما﴾ وأما فى تعاملهم ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ أي وسطا، فهم أهل الوسط وفى عقيدتهم ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ وفى طهارة مجتمعهم ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ وفى صون أعراضهم والحفاظ على

---

(١) سورة الفرقان (٦٣ ــ ٧٦).

أسرهم ﴿ولا يزنون﴾ ومن وقع منهم فى شيء من ذلك - لعدم عصمتهم - سارع بالتوبة إلى الله والعمل الصالح ، ثم هم فى أخلاقهم ﴿لا يشهدون الزور﴾ ولا يشاهدونه ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ ثم هم أصحاب فقه فى الدين ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ ثم هم خيرهم يتعدى لغيرهم ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما﴾ .

فهذه ثلاثة عشر صفة تقريبا ، فيها خيرى الدنيا والآخرة ، وأعظم ما فيها ﴿أولئك يجزون الغرفة - أعلى الجنات - بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما﴾ .

فاللهم اجعلنا من عباد الرحمن ، كما وصفهم الفرقان ، وجلاهم النبي العدنان ، عليه الصلاة والسلام .

ولنا إن شاء الله تعالى وقفة أخرى تفصيلية مع هذه الكنوز القرآنية .

علاج الأسرة المسلمة :

وأما أمراض الأسرة فقد صارت كثيرة جدا ، لا سيما فى زماننا هذا ، حتى صارت خبيثة ، ومستعصية على العلاج فى كثير من الأحيان ، فالأسرة الآن قد أصابها التفكك والانحلال ومرضت بالضياع والانهيار ، فهل سمعت عن عالم الزوجات اللاتي يقتلن أزواجهن فتكا وتقطيعا ؟ وهل سمعت عن الأزواج الذين يقتلون زوجاتهم ، سما وتشريدا ؟!!

وهل سمعت عن خيانة الزوجين كل منهما للآخر ، فى حضوره وغيبته ؟!!

وهل علمت ما وصل إليه حال الأسر المسلمة فضلا عن غيرها ؟

فهل تعقل أن ابنا زنى بأمه أو قتلها ؟! ، أو أما تراود ابنها عن نفسه ؟!

وهل تصدق أن ولدًا ضرب والده على رؤوس الأشهاد ثم قتله ؟!

وهل سمعت بزنى المحارم الذي انتشر من بعد انتشار جريمة

الزنا ذاتها ؟!

فهل تصدق أن والدًا زنى ببناته ، أو أخا بأخواته ، أو .. أو .. إلخ ؟!!!

إن ما وصل إليه حال الأسرة المسلمة وغيرها ، فيما نعلمه أو نسمع عنه ، أو انتشر فى الواقع ، أو نشر فى الصحف مما أشرنا إليه أو غيره - لهو من أشنع الأمراض ، وأبشع الأوبئة ، وأفتك الجراثيم التي أصابت هذا الواقع الذي ظل يعرف بالطهر قرونا عديدة ، وكذا بالعفاف والشرف والمحافظة على الأعراض.

فما السبب فى ذلك ؟ وما علاج ذلك فى القرآن الكريم ؟

لقد استخدم القرآن الكريم وسيلتين فى هذا الشأن :

الاولى : وسيلة الوقاية ، التي أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[1] وكما يقال : الوقاية خير من العلاج .

---

(١) سورة التحريم : ٦ .

ومن أساليب الوقاية فى القرآن الكريم : الاستئذان ، وغض البصر ؛ وحفظ الفروج ، والأمر بالزواج ، والدعوة إلى العفة، واقرأ فى ذلك قوله تعالى فى سورة النور ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾ إلى قوله تعالى ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين﴾[1] وهذا بخلاف الزجر والترهيب للمخالفين، وتحديد العقوبات ووضع الحدود لهذه الجرائم ، واقرأ فى ذلك صدر سورة النور إلى قوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾[2] .

الثانية : وسيلة العلاج ، بتشخيص الداء ووصف الدواء .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى مواضع ، منها قوله تعالى - آمرًا الزوج أن يدعو زوجته إلى الالتزام بأحكام الإسلام - ﴿وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن

---

(١) سورة النور : ٢٧ ـ ٣٤ .

(٢) سورة النور : ١ ـ ١٠ .

نرزقك والعاقبة للتقوى﴾[١] أو أمر الزوجة بالالتزام بأحكام الإسلام ، مثل الحجاب والصلاة والزكاة ، وطاعة الله عز وجل ، وطاعة رسوله ﷺ على الجملة والتفصيل ، كما قال تعالى : ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾[٢] .

وبمثل قول النبي ﷺ « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت نفسها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها يوم القيامة ادخلي من أي أبواب الجنة الثمانية شئت»[٣]

كما أن القرآن الكريم حدد مواصفات الأسرة المسلمة المستقيمة على منهج الله تعالى رجالا ونساءًا في عشر صفات ، بقوله سبحانه ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات

---

(١) سورة طه : ١٣١ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٣) رواه أبو داود والحاكم .

والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾[1]

ثم بين الله تعالى أدب الأسرة المسلمة أمام أحكام الله تعالى بقوله ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾[2] .

والذي يتبين لي أن مخالفة هذه الآية الكريمة هو أساس الداء، وعين المرض ، وسبب العلة والسقم وبمعرفة المرض يمكن أخذ الطريق إلى العلاج[3] .

هذا وقد حرص الإسلام على علاقة الزوجين بعضهما البعض، وأمر بحسن العشرة بقوله تعالى : ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾[4] وكذا جعل لكل منهما على الآخر حقوقا فقال:

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٥ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٦ .

(٣) راجع بتوسع كتاب «مهمة المرأة المسلمة»

(٤) سورة النساء : ١٩ .

﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾[1] وهذه الدرجة للرجال هي درجة القوامة التي تعني التربية والتعليم والغيرة والمحافظة والانفاق ونحو هذا فقال تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ ومن مواصفات الزوجة الصالحة ﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾[2] وعند حدوث خلل في الأسرة يضع الإسلام لها العلاج المناسب ، فعند حدوث خطأ من الزوجة يكون علاج ذلك ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾[3] وعند حدوث الخطأ من الزوج ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما

(1) سورة البقرة : ٢٢٨ .

(2) سورة النساء : ٣٤ .

(3) سورة النساء : ٣٤ ، ٣٥ .

صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا﴾[1] وعندما لا تفلح كل الوسائل فى الإصلاح أو العلاج ، فآخر العلاج الكي بالنار ، لذلك أباح الإسلام «الطلاق» كآخر وسيلة فى المحافظة على الزوجين ، بدلا من القتل والسم والخيانة وغير ذلك ، ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعًا حكيمًا﴾[2] .

مع نظام إسلامي متفرد فى أسلوب الطلاق وطريقته ومراحله وغايته .[3]

هذا ولما كانت الأسرة لا تنحصر فى الزوجين ، وإنما تتسع وتكبر لتشمل الآباء والأبناء بأن صار الزوج أبا له أبناء ، فإن للآباء على الأبناء حقوقا يجمعها قول ربنا ﴿وبالوالدين إحسانا﴾[4] بما تشتمل عليه من حقوق معنوية ومادية ، وأخذ بأسباب البر ، وبُعد عن العقوق . وللأبناء على الآباء حقوق، رمز القرآن إليها فى مثل قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا أولادكم من

---

(١) سورة النساء : ١٢٨ .

(٢) سورة النساء : ١٣٠ .

(٣) راجع سلسلة تصحيح المفاهيم (١) .

(٤) سورة الأنعام : ١٥١ والإسراء : ٢٣ .

إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾[1] أو ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾[2] وتعظم مسئولية الأب الذي عليه أن يربى أولاده ، بأن يحفظ أبناءه القرآن ، منذ الصغر ، قبل أن يشتغل ذهن الأولاد بشاغل المدارس ، ومشاكل الحياة، ولأن الولد الذي لا يحفظ القرآن يحفظ الغناء، وما لم يشغل وقته بحفظ القرآن شغله بالجلوس أمام التلفاز الذي له دور كبير فى إفساد النشء والأسرة والحياة ، وما لم يتعلم الولد منهاج الإسلام تعلم مناهج الكفر ، ومن شب على شيء شاب عليه، والنبي ﷺ يقول : «علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع»[3] وعندما خالفنا هذه التعاليم الإسلامية ، فنحن الآن نجني الثمار المرة لتلك المخالفة ، فبسبب عدم التفريق فى المضاجع مثلا صار الأخ يراود أخته أو يزنى بها والعياذ بالله ، والشيطان لهما بالمرصاد مع انتشار وسائل الإفساد ، ورفقة سوء فى غاية العناد .

---

(١) سورة الأنعام : ١٥١ .

(٢) سورة الإسراء : ٣١ .

(٣) رواه أبو أبو داود والحاكم .

إن على الوالديـن أن يربيـا الأولاد منذ الصـغـر ، تربيـة صحيحة متمثلة فى التربية الإيمانية ، بما تعنيه ، وتربية أخلاقية بما تحويه ، وتربية صحية بمعناها ، وتربية عقلية سليمة ، وتربية علمية واضحة ، وتربية نفسية صحيحة ، وتربية اجتماعية واعية ، بل وتربية جنسية مهذبه ، ونحو ذلك (١) .

---

(١) راجع بتوسع كتاب « تربية الأولاد فى الإسلام » للشيخ عبد الله ناصح علوان .

علاج المجتمع المسلم :

هذا وعن أمراض مجتمعاتنا الإسلامية - فضلا عن غيرها من المجتمعات الكافرة ، ولكن ليس بعد الكفر ذنب - فحدث ولا حرج .

فمجتمعاتنا فى عقيدتها ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾(١)

وفى أحكامها ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾(٢)

وفى سلوكها ﴿فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾(٣)

وأما النساء فقد ﴿تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ ، بل زدن على ذلك أضعافا مضاعفة .

ومجتمعاتنا تعاني من الذل وتشكوا الهزيمة ، وتئن تحت مرض الفرقة ، وترزح تحت وطئة التبعية ، ومبتلاة بالأثرة والأنانية وحب الذات ، كما هي مريضة فى أخلاقها .

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٤ .

(٢) سورة المائدة : ٥٠ .

(٣) سورة الفتح : ٢٦ .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

كما أنهــا مريضة بمرض الفقر والجــوع ، وتعاني من الخوف وفقدان الأمن ، والحرمان من السعادة إنها تعاني من ذلك كله، فضلا عن الأمراض العضوية المستعصية على العلاج ، والأوبئة المنتشرة ، وطاعون العصر المتنوع والمتلون بكل لون . . . الخ .

إنها أمراض وأمراض ، فهل من علاج ؟

نعم هناك عــلاج لكل مــرض ، لأن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتداووا عباد الله ، ولا تتداوا بحرام ولا خبيث ، وإياكم إياكم ومرض محاربة الله ، وهجران كتابه ، والبعد عن دوائه وشفائه . إن عــلاج هذه الأمراض الخبيــثة ، وحل تلك الأزمــات الطاحنة ، وإيجــاد الحلول لتلك المشــاكل الخطيــــرة يكمن فــى بضع آيات من كـــتــــاب رب الأرض والســمــوات، وخــالق البــريات ، وهو أعلم بما يـصلح تلك الكائنات ، فمــثلا نجد سورة كــسورة العصــر تضع النقاط على الحروف ، وتأخذ بأيدينا على مــراحل الطريق ، سبحان الله ! سورة العصر وهى من أقصر سور القرآن الكريم ، ولا تزيد عن سطر واحد فى المصحف . إذا بها تشخص الداء وتصف الدواء،

فالسورة فى آياتها الأولى عبارة عن قسم لتأكيد القضية ﴿والعصر﴾ والآية الثانية تشخيص للداء - مجملا - ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾ والآية الثالثة وصف للدواء فى أربعة أدوية لا خامس لها ولا تخرج عنها : إيمان ، وعمل صالح ، وتواصي بالحق، وتواصى بالصبر ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ .

اثنان لك واثنان لغيرك ، فأما اللذان لك فالإيمان والعمل الصالح ، وأما الذان لغيرك فتواصى بالحق وتواصى بالصبر ، فانت ما بين صلاح نفسك وإصلاح غيرك ، فالعلاج الأول الرئيسى هو الإيمان الذي به تقضي على داء الكفر العضال ، ومرض الشرك الخطير ، وظن الجاهلية القاتل ، لأن التوحيد أساس الإيمان الذي جاء به النبي العدنان عليه الصلاة والسلام، ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص﴾[1] .

وبهذا الإيمان يجد الإنسان السعادة التي يفتقدها غير المؤمن، ويبحث عنها كل انسان ، قال تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾[1] وقال : ﴿أفمن شرح الله صدره

---

(١) سورة الزمر : ٢ ، ٣ .

للإسلام فهو على نور من ربه﴾[2] وبالإيمان توجد العزة - من بعد الذل - ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [3] وبالإيمان يتحقق النصر من الرحمن ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾[4] ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾[5] وبالإيمان تتحقق الأخوة فى الله ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾[6] وننجو من الفرقة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[7] .

وبالإيمان يتحقق الاستعلاء ، وننجو من التبعية المهنية ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾[8] وبالإيمان

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٥ .

(٢) سورة الزمر : ٢٢ .

(٣) سورة المنافقون : ٨ .

(٤) سورة الروم : ٤٧ .

(٥) سورة الروم : ٤ ، ٥ .

(٦) سورة الحجرات : ١٠ .

(٧) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٨) سورة آل عمران : ١٣٩ .

والتقوى تتحقق معية الله تعالى ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1] ومن كان الله معه ، فمن عليه ؟ ومن كان الله معه فلن يزل ولن يضل .

وبالإيمان والعمل الصالح يتحقق التمكين فى الأرض والاستخلاف فيها ، كما وعد الله تعالى ، وهو لا يخلف الميعاد ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾[2] وبالإيمان والتقوى يتحقق الإطعام ويتوفر الأمن ، وتنجو المجتمعات من الجوع والخوف ، كما قال تعالى - على مستوى الفرد - ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[3] وعلى مستوى الأسرة ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة - إلى قوله - أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾[4]

---

(١) سورة النحل : ١٢٨ .

(٢) سورة النور : ٥٥ .

(٣) سورة الطلاق : ٢ ، ٣ .

(٤) سورة القلم : ١٧ - ٢٦ .

وعلى مستوى القبيلة ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[1] وعلى مستوى القرية ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[2] ، وعلى مستوى المدينة ﴿ لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل شيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور﴾[3] وعلى مستوى العالم كله والمجتمعات بأسرها ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾[4] .

حقا مع الإيمان والتقوى يتحقق الأمن والإطعام ، ومع

---

(١) سورة قريش : ٣ ، ٤ .

(٢) سورة النحل ١١٢ .

(٣) سورة سبأ : ١٥ ــ ١٧ .

(٤) سورة الأعراف ٩٦ .

الكفر والمعصية يقع الجوع والخوف ، ومع الإيمان والتقوى - كعامل معنوي - لا بد من السبب الحسي وهو الأخذ بالأسباب والضرب فى الأرض **﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**(١) وهذا حل للمشكلة الاقتصادية من وجهة نظر الإسلام ، وإن لم تكن قاعدة عامة ، فهناك سنة الابتلاء ، لمن يختبر بالخوف أو الحرمان مع إيمانه وتقواه ، ولكل شيء أسبابه .

كما حل الإسلام المشكلات السياسية بدعوة الناس إلى التحاكم إلى شرع رب البرية **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾**(٢) بلى سبحانه علم فحكم ، فقال : **﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**(٣) فسوى بين العبادة والحكم ، إذ كلاهما دين ، وتفريق الناس بينهما هو الداء العضال ، والمرض القتّال ، بل الموت الزؤام .

---

(١) سورة الملك : ١٥ .

(٢) سورة الملك : ١٤ .

(٣) سورة يوسف : ٤٠ .

ألا ترى جمال الإسلام في قول الملك العلام ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾[1] وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾[2]

كما حل الإسلام مشكلة الأمية والجهل ، ودعا إلى العلم، لاول وهلة ومع أول آيات نزلت فقال ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾[3]

هذا وقد حل الإسلام المشاكل الأخلاقية في آية واحدة، يقول الله تعالى : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[4] قرأها النبي ﷺ على نفر من الأعراب ، فقالوا: والله لقد دعوت إلى مكارم الأخلاق أخا العرب .

---

(١) سورة النساء : ٥٨ .
(٢) سورة المائدة : ٨ .
(٣) سورة العلق : ١ ــ ٥ .
(٤) سورة النحل : ٩٠ .

وحل الإسلام المشاكل الاجتماعية ، وقضى على الحمية الجاهلية ، والعصبية الجاهلية ، وإن شئت فاقرأ سورة الحجرات، تلك السورة التي تعلمنا كيف يكون الأدب ، بالادب مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ ، وبالأدب مع النفس ، وبالادب مع الاخوة ومع المجتمع كله .

إنه جمال هذا الدين وهو يدعونا إلى العمل الصالح بعد الإيمان بالله ،وحتى يقضي الإسلام على داء الأثرة والأنانية وحب الذات ، أوجب علينا الدعوة إلى الله تعالى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال تعالى : ﴿وتواصوا بالحق﴾ ولما كانت الدعوة تحتاج إلى طول نفس ، ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يترتب عليهما أذى وابتلاء ، احتاج الأمر إلى صبر ، فأعقبها سبحانه بقوله : ﴿وتواصوا بالصبر﴾ وقال تعالى على لسان لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾[1]

وعن طريق هذه الدعوة التي ارتبطت خيرية الأمة بها ، كما

---

(١) سورة لقمان : ١٧ .

قال تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[1] عن طريق هذه الدعوة يستقيم المجتمع وتصلح الأمة وتشفى من أمراضها ، وتبرأ من جاهليتها سواء أكانت ظن الجاهلية ، أو حكم الجاهلية ، أو حمية الجاهلية ، أو تبرج الجاهلية ، وبموت الدعوة تموت الأمة، وتفقد خيريتها ، كما أنه بترك الجهاد تذل الأمة ، وما تركت أمة الجهاد إلا ذلت ، والواقع خير دليل وبرهان ، وباستقامة الأمة على منهج الله تنجو من الطاعون ، وتبرأ من الأسقام ، وتشفى من الأمراض لأنه لا سبيل إلى انتشار الأوبئة إلا مع الإعلان عن المعصية ، والمجاهرة بما يغضب الله تعالى كما قال ﷺ « يا معشر المهاجرين ، خصال خمس ، إن ابتليتم بهن ونزلن بكم ، أعوذ بالله أن تدركوهن : ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون أو الأوجاع التي لم تكن فى أسلافهم ، وما نقص قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا

---

(1) سورة آل عمران : ١١٠ .

البهائم لم يمطروا ، وما نقض قوم عهد الله وعهد رسوله إلا جعل بأسهم بينهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم ياخذ بعض ما فى أيديهم»[١] .

هذا وأما عن الأمراض الحسية أو العضوية ، فإن هذه أيضا جعل الله لها دواء وشفاء فى كتابه سبحانه وتعالى ، وذلك عن طريق الرقية بالقرآن ، إذا خرجت من قلب مؤمن بالله ، وعلى يقين فى الشفاء ، متوكلا على الله ، فإن الله شافيه مهما كان المرض ، وشيء آخر أن القرآن دلنا على التداوى والأخذ بأسباب الشفاء ، وشيء ثالث هو ذكر كثير من الأدوية التي جعلها الله سببا فى الشفاء فى كتاب الله ، وذلك مثل «العسل» كما قال سبحانه ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾[٢] وكذلك ما ذكر فى القرآن من نباتات وأعشاب ، أثبت الطب الحديث أنها جميعا أدوية لأمراض

---

(١) رواه بن ماجه ، بسند صحيح .

(٢) سورة النحل : ٦٨ ، ٦٩ .

عديدة ، ولما لم يكن القرآن قد نـزل ليكون كتاب طب فقط ، فقد ترك تفصيل ذلك لسنة النبي ﷺ فوافتنا السنة بالمزيد ، بما اشتمل عليه كتاب «الطب النبوي» لابن القيم ، وغيره ، وقد تحدث عن ألوان من الرقية ، وأنواع من العلاج ، وأشار إلى فوائد العسل والحبة السوداء ، والحجامة ، والكي ، وفوائد الحنطة ، و ، و الخ[1]

ألا ترى معي أن الإسلام فيه علاج لأمراض البشرية ؟

ألا ترى أن القرآن فيه شفاء من كل داء ؟

ألا تعلم أنه بالجمع بين القرآن والسنة تجد علاجا لكل علة، ودواء لك داء ، وشفاءً - بإذن الله - من كل مرض .

﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[2]

---

(١) راجع بتوسع : الطب النبوي لابن القيم ، وكتاب : الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام .

(٢) سورة فصلت : ٤٤ .

الفهرست

رقم الإيداع ٩٦/١٠٠٩٠
الترقيم الدولي
I.S.B.N.
977-19-1676-9